وسائل الإعلام
بين مغبّة اللّحن والعجز عن تخريج الصّواب

د.عبد القادر سلاّمي(*)

تقديم:

يتناول هذا البحث أمثلة ممّا تتناقله بعض وسائل الإعلام العربية من لُحون لا يجوز أن تُذاع في النّاس في العالم العربيّ. وليس الذنب ذنب هذه المحطّات الإشعاعية دائمًا. فكثيرًا ما تبعث إدارات حكومية ألفاظًا مغلوطًا فيها فتسري تلك الأغلاط من محطة إلى محطة، وغياب المدقّقين اللغويين في تلك الوسائل لا يدرأ عنها اللّحن؛ مع سوق هذه الوسائل لبعض الألفاظ والعبارات المسكوكة، التي درج المذيعون وأغلب ضيوف حلقاتهم وأركانهم على استعمالها، وذلك دون إدراك منهم لأوجه الصواب فيها أو أن يقووا على تخريجها، بما تُمليه طبيعة النّحو أو الصّرف أو الدلالة.

ويسعى هذا البحث إلى الوقوف على بعض الأخطاء المقترفة ومحاولة إثبات بعض ما صحّ من ألفاظ وعبارات لا نملك بعد تخريجها إلاّ القول بصواب رأي من أقرّها، وذلك قصد حماية ما بقي فصيحًا سليمًا من ألسنة العرب أو لجبر ما يمكن جبره منها، بما يعزّز الرغبة في إحياء مبدإ تنقية اللغة العربية الذي كان سائدًا عند الأسلاف.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب واللغات – جامعة تلمسان – الجزائر.

1- تعريف اللّحن:

ارتبط اللّحن في معظم المعاجم العربية بدلالات مختلفة، منها: الفطنة والذكاء[1] والتورية[2] والغناء وحسن الصّوت[3] والتّظرّف في الحديث[4] والميل

(1) والشّاهد على ذلك، عن أمّ سلمة زوج النبيّ عليه الصّلاة والسّلام، أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قال: «**إنّما أنا بشر، وإنّكم تختصمون إليّ، فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فلا يأخذنّ منه شيئا، فإنّما أقطع له قطعة من النّار**». (ينظر: مالك: الموطأ، ص 509، الحديث رقم 1397)، «أي أفطن لها وأغوص عليها». ينظر:ابن دريد: كتاب الملاحن، ص 56، والسيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 568/1)، ولحن يلحن لحنا، فهو لحن إذا أصاب وفطن، ويقال رجل لحن ولحن. (القالي: أبو علي إسماعيل القاسم البغدادي، مراجعة نخبة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، 5/1، والبطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، 244/1).

(2) ويقصد بها استعمال معنى قريب والمراد معنى بعيد، «ويقال لحنت لفلان إذا قلت له قولا يفهمه ويخفى على غيره؛ لأنّك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم» (الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، ص 437، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 53/3)، ومن شواهد هذا المعنى ما قاله الشاعر مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري(ت 60هـ) في جارية له:

مَنْطِقٌ بَارِعٌ (*)وتَلْحَنُ أحيـا نـًا وخَيْرُ الحديثِ مَا كانَ لَـحْنا

بمعنى أنّ أفضل الحديث هو الّذي يفهمه الشخص المراد إفهامه دون غيره. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص 530، وابن عبد ربه: العقد الفريد، 480/2). وقد اختلفت الروايات في وصف كلمة (منطق) فهي(صائب) في الجاحظ: البيان والتبيين، 102/1، والقالي: الأمالي في لغة العرب، 6/1، والشريف المرتضى:أمالي المرتضى، 14/1، و(رائع) في عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 26.

(3) وممّا يروى في هذا المعنى قول الشاعر ابن مخرمة السّعدي:

وهاتِفَيْنِ بِشَجْوٍ بَعْدَمَا سَجَعَـتْ وُرْقُ الحَمَامِ بتَرجيعٍ وإرْنَـانِ

بَاتَا عَلَى غُصْنٍ بَانٍ في ذُرَى فَنَنٍ يُرَدِّدَانِ لُحُـوناً ذَاتَ أَلْـوَانِ

ينظر:القالي: الأمالي في لغة العرب، 6/1، وابن منظور: لسان العرب،381/13، مادة (لحن). وقد اتّصل بهذا المعنى التّنغيم والتّرتيل في القرآن. ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص 12، ويوهان فك: العربية، ص 246.

(4) هو خلط الكلام الأصلي بكلام أجنبيّ عنه، وقد روي عن إسماعيل بن إسحاق (282هـ) عن نصر بن عليّ (ت 565هـ) عن الأصمعيّ (ت 216هـ) عن عيسى بن عمر (ت 149هـ) **قال**: «**قال معاوية** (41هـ-60هـ) **للنّاس**: **كيف ابن زياد فيكم؟ قالوا**: **ظريف على أنّه يلحن، قال**: **فذاك أظرف له**».ينظر:القالي: الأمالي في لغة العرب،5/1، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 53/3.

ومعنى القول وفحواه[5] والرّمز والإشارة[6] واللّغة أو اللّهجة الخاصّة[7] ؛ ممّا يدلّ على أنّ اقتران معناه بالخطإ جاء متأخّرًا دعت إليه حاجة اللّغة العربيّة إلى

(5) وممّن ذكر هذا المعنى ابن الأثير (ت 606ه) في قوله: «اللّحن: الميل عن جهة الاستقامة». ينظر: ابن الأثير: مجد الدين السعادات المبارك الجزري، المطبعة العثمانية، 1311ه، 3/1. ورد هذا المعنى كذلك في قوله تعالى: **﴿ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ﴾** (الآية 30 من سورة محمد)، "وهذا هو الكلام المُوَرّى به المُزال عن جهة الاستقامة والظّهور بالزيادة والنّقصان في ترنُّمه". (ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 239/5، مادة (لحن). وقال أبو بكر الأنباري (ت 328ه) في معنى هذه الآية أي في مذهبه ووجهه. (ينظر: القالي: الأمالي في لغة العرب، 4/1، وينظر: إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، 820/2، مادة (لحن).

(6) وممّا تذكره مصادر اللغة في هذا المعنى، أنّه في غزوة الخندق، بعث الرسولﷺ سعْدًا بن معاذ (5ه) وسعدًا بن عبادة (15ه) ومعهما عبد الله بن رواحَة (ت 8ه) وخوَّنا بن جُبَيْر إلى بني قُرَيْظة ليَتَبَيَّنوا ما إذا كانوا قد نكثوا عهدهم مع الرّسولﷺ، وقال لهم: «**انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتّوا(*) في أعضاء النّاس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس**».(ينظر: ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم ،237/3-238 ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الإسلام، ص 61. (ولا تفتّوا: أي لا تسيئوا إلى النّاس. (ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 436/4، مادة(فتّ).ولمّا رجع الرّسل سلّموا على الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وقالوا: (عضل والقارة)(*) فعلم النبيّ الكريم أنّ بني قريظة نكثوا عهدهم. عضل والقارة: قبيلتان من كنانة، غدرتا بأصحاب رسول الله ﷺ. (ينظر: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الإسلام،ص61). فقوله الحنوا لي لحنا أعرفه بمعنى أشيروا إليّ بإشارة أعرف مدلولها ولا تفصحوا. و(عضل والقارة)(*) فعلم النبيّ الكريم أنّ بني قريظة نكثوا عهدهم و(*)عضل والقارة: قبيلتان من كنانة، غدرتا بأصحاب رسول الله ﷺ. ينظر المرجع السابق، ص 61.

(7) وشواهد هذا المعنى كثيرة نذكر منها ما روي عن شريك (ت 92ه) عن أبي إسحاق (ت 87ه) عن أبي ميسرة (ت 63ه) في تفسير كلمة العرم في قوله تعالى: **﴿فأرْسَلْنَا عليهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾**. (الآية 16 من سورة سبأ)، قال: "العرم: المسنّاة (*) بلحن اليمن أي بلغة اليمن".(ينظر:القالي: الأمالي في لغة العرب، 5/1 والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن،134/1). والمسناة: ظفيرة تُبنى للسّيل لتردَّ الماء؛ وسمّيت كذلك لأنّ فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه ممّا لا يغلب، وهو مأخوذ من قولك: سنّيتُ الشّيء والأمر إذا فتحت وجهه. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 406/14، مادة (سنا). وفي حديث للرسول صلّى الله عليه وسلم: «**اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين**». (ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 54/3 وعوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، ص 9). ولحون العرب هنا تعني طرائقها في الكلام من إمالة وإشمام ونحو ذلك ممّا تعرف به لهجاتهم من خصائص تيسيرا للمتعلّمين. (ينظر:عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، ص9).

التصويب اللغويّ، وذلك بفعل الاختلاط الذي حدث بين العرب والأعاجم في صدر الإسلام، إذ عانت من ظاهرة مستهجنة وغريبة على اللسان العربيّ الفصيح، وهي ظاهرة اللّحن التي انتشرت في أوساط العامّة بله الخاصّة. وقد تفطّن لخطرها العديد من جهابذة العلماء وكذلك الخلفاء، ومنهم عبد الملك بن مروان(65هـ-86هـ) الذي كان يحذّر أبناءه من الوقوع في اللّحن بقوله:"**إنَّ اللَّحْنَ في منطقِ الشَّريف أقْبَحُ من آثَارِ الجُدَرِيِّ في الوجه، وأقبحُ من الشِّقِّ في ثَوْبٍ نَفيسٍ**"[8]. وهو ما عرف عندهم بمبدإ تنقية اللغة العربية.

واللّحن في العربية إمالة الكلام عن جهته الصّحيحة، يقال : لحَن لَحْناً، وهو عند ابن فارس (ت 395هـ)من الكلام المولد، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطبائعهم السليمة[9]، وهو يغيّر المعنى واللّفظ ويقلبه عن المراد به إلى ضدّه حتى يفهم السّامع خلاف المقصود منه[10]،كما أنّه هَدْم لكيان اللّغة وإنشاء كيان آخر على أنقاضه[11]، ومن الشواهد الدّالة على هذا المعنى قول: السيّد الحميريّ إسماعيل بن محمد[12] (ت 173 هـ):

وإنّي لِسانِي مِقْوَلٌ لا يَخُونُني وإنّي لمَا آتي منَ الأمْرِ مُتْقِنُ
أَحُوكُ ولا أُقْوِي ولست بِلَاحِنٍ وَكَمْ قائِلٍ للشِّعْرِ يقْوِي ويَلْحَنُ

ونشير في هذا الصّدد إلى التداخل الموجود بين اللّحن والخطإ بحيث يستعملهما المتكلّم بمدلول واحد، بينما نجد ثمّة فرقًا بينهما: "فاللّحن صرفك الكلام عن جهته. ثمّ صار اسمًا لازمًا لمخالفة الإعراب، والخطأ إصابة خلاف ما

(8) الجاحظ: البيان والتبيين، 170/2 وابن قتيبة: عيون الأخبار، 158/2، وابن عبد ربه: العقد الفريد، 478/2.

(9) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 54/5، مادة (لحن).

(10) السيد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، 244/1، والقلقشندي:صبح الأعشى، 169/1.

(11) ينظر:محمد الحباس: دراسة تطور المفردات العربية من خلال كتب اللّحن، ص47.

(12) المرزباني: الموشح من مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، ص 16.

يقصد وقد يكون في القول والفعل، واللّحن لا يكون إلّا في القول. تقول لحن في كلامه ولا يقال لحن في فعله، كما يقال أخطأ في فعله، إلاّ في استعارة بعيدة"[13].

وقد عدّ محمد بن القاسم الأنباري (ت 304هـ) اللّحن من الأضداد حين قال: **"واللّحن حرفٌ من الأضداد؛ يقال للخطإ لحن وللصّواب لحن"**[14]. وتابعه ابن الأثير في ذلك[15].

ويذكر أنّ أوّل لحن سمع بالبادية هو **(هذه عصاتي)** أمّا في العراق. فهو: **(حيّ على الفلاح)**[16].

2- مظاهره:

ورد اللّحن في لغة العرب بأشكال عديدة، منها:

أ- إسقاط حركات الإعراب:

وهو أوّل مظهر من مظاهر اللّحن على اللّسان العربيّ، ودليل ذلك قول أبي الطّيب اللّغوي (ت 351هـ): **"واعلم أنّ أوّل ما اختلّ من كلام العرب فأحْوَجَ إلى التعلّم الإعرابُ"**[17].

وروي عن بشير بن مروانٍ (ت 102هـ) أنه قال لغلامٍ له - وعنده عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ): **ادْعُ لي صالحا**، فقال الغلام: **يا صالحا**، فقال له بشر: **ألْقِ منها ألفٌ**، قال له عمر: **وأنْتَ فزِدْ في ألفِكَ ألَفًا**[18].

(13) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص 46.

(14) الأنباري: الأضداد، ص 238.

(15) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 56/4.

(16) الجاحظ: البيان والتبيين: 172/2 وينظر:عبد الجليل مرتاض:بوادر الحركة اللّسانية الأولى عند العرب، ص 87.

(17) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 5.

(18) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، 167/2، وابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 480/2.

ب – اللّحن الصّوتي :

ويتمّ بإبدال صوت لم يتعوّد الأعجميّ النطق به بصوت آخر مألوف له، ومثال ذلك قول فيل مولى زياد الأعجم (ت 100هـ): **"اهدُوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ"**[19]؛ **أي** حمار وحش. ومثلها إبدال العين همزة، والذّال دالا، والظّاء ضادًا، والسّين صادًا، وغيرها.

ج – اللّحن الصّرفي:

ويتعلّق ببنية الكلمة، ويبدو جليّا في قول يوسف بن خالد السّمتي (ت 189هـ) لعمرو بن عبيد (ت 144هـ): **"ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها؟** قال له عمرو: **أحسن**، قال: **من قفاؤها**. قال: **أحسن، قال من خفاءَها**: قال عمر: **ما عَنَاكَ بهذا؟ قُلْ من قَفَاها واستَرِحْ"**، ولحن يوسف أيضا في قوله (**هذا أحمرُ من هذا**)، والمراد هذا أشدّ حمرة من هذا[20].

د – استعمال الألفاظ العربية في غير موضعها:

في مثل قول عبيد الله بن زياد (ت 67هـ) لجنوده: (**افتحُوا سيوفَكم**)، وقصد: (**سلّوا سيوفكُم**)، وليس من عادة العرب استعمال (الفتح) للسيوف[21].

هـ – طغيان بعض الألفاظ الفارسيّة التي لها مقابل العربيّة:

وانتشر ذلك في المدن، وأورد الجاحظ (ت 255هـ) أمثلة كثيرة عن هذا النّوع، منها تسمية التقاء أربعة طرق (**مربّعة**) عند أهل البصرة و(**الجهارسوك**) عند أهل الكوفة وهي كلمة فارسية ويسمّون **القثّاء**(*) **خياراً**، والخيار فارسيّة[22].

---

(19) ابن قتيبة: عيون الأخبار: 159/2.

(20) الجاحظ: البيان والتبيين، 168/2.

(21) المصدر نفسه، 210/2، وشكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، ص 268.

(*) القثّاء: نوع من البطيخ، نباتي، قريب من الخيار لكنه أطول، واحدته قثاءه، وهو اسم جنس لما يسمّى بمصر: الخيار والعجوس والفقّوس. ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص715، مادة (قثأ).

(22) الجاحظ: البيان والتبيين، 20/1، شكري فيصل: والمجتمعات الإسلامية: ص 270.

نماذج من لحن وسائل الإعلام:

يجدر بنا بعد هذه المقدمة أن نقف على جملة من الأخطاء التي يذيعها المذيعون وتتناقلها محطات الإعلام المكتوبة والمسموعة، ومنها:

1 – الإطار أو مِلاَكُ (مَلاَكُ) لا الكادر:

للكلمة الفرنسية (cadre) معان كثيرة في علوم وفنون مختلفة، كالإدارة والصناعة والتشريح والنّحالة (حيث تطلق كلمة كادر على النّحيتة) والعمارة والجيش والبحرية والسكة الحديد والكهرباء والأدب والفنون الجميلة والمعادن والتصوير الشمسي والمسرح وغيرها من العلوم والفنون[23]. والذي يهمنا ذكره من معاني ذكره من معاني كلمة كادر المشتركة معنيان[24] :

– **المعنى الأول**، وهو الأشهر: حاشية من خشب أو برنز أو من غيرها توضع فيها مرآة أو رسم أو قطعة فنية أو غيرها. فالكادر هنا هو إذن الإطار، وهي كلمة مشهورة تستعمل لهذا المعنى وجمعها أطرٌ.

– **والمعنى الثاني**، للكلمة الفرنسية المذكورة هو معنى إداري، وهو بيان الدوائر والوظائف في إحدى الإدارات أو المديريات، وهو أيضا بيان الضباط وضباط الصف في الجيش.

فالكلمتان العربيتان المصطلح عليهما في اللغة العربية للدلالة على هذا المعنى هما: "الإطَارُ" و"الملاك". فكلّ شيء أحاطَ بشيء فهو إطارٌ، ويُقالُ: بنُو فلان إطارٌ لبني فُلان، إذا حَلُّوا حولَهم. ويقالُ: أَطَّرْتُ العُودَ، إذا عَطَفْتَهُ، فهو مَأطُورٌ، وجمعهُ أُطُر[25]. أمّا مَلاَكُ الأمر ومِلاَكُهُ، فقِوَامُهُ الذي يُملَكُ به،

(23) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة، 650/2.

(24) Le Petit Larousse, page 164.

(25) ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 113/1، مادة (أطر).

وخُلاَصتُه وعنصره الجوهري[26]، وهو اصطلاح – حسن الملاك كان قد وُضع في مجمع اللغة بدمشق منذ سنين عديدة، وعمّ استعماله سورية ولبنان وغيرهما. يقال مثلا : هذا "ملاك مديرية الشرطة"؛ أي بيان ما فيها من وظائف وأعمال للموظفين والمستخدمين. ويمكن – استثنائيًا – جمع ملاك على ملاكات، مثلما جاء سجلّ وسجلاّت مثلا. أما تكسير ملاك قياسيًا فهو أملكة للقلّة وملك للكثرة[27].

ويتضح من ذلك أنه لا حاجة إلى تعريب كلمة (cadre) ولا إلى جمعها على كوادر، ومن المؤسف أن نرى هذه الرطانة تسري إلى الدوائر الإعلامية العربية.

2 – الإعداد لا المونتاج :

ارتبطت معاني الكلمة الفرنسية (Montage) بعدة معانٍ، منها: الرفع والإعلاء كرفع الشيء إلى فوق؛ ومنها التركيب والإعداد في مثل الآلة؛ أي وضع أجزاء تلك الآلة في مواضعها حتى تكتمل الآلة، يقال تركيب الآلة أو إعدادها؛ ومن معاني الكلمة الفرنسية في السينما استعراض مناظر الفيلم (film) في أشرطة، واختيار شريط نهائي؛ أي إعداد المنظر الذي سيُعرض على الجمهور[28]. وقد رأى مصطفى الشهابي أنّه يمكن الاكتفاء بالإعداد اصطلاحًا للدلالة على مضمونها في الفرنسية، وهي كلمة حسنة تغنينا عن تعريب الكلمة الفرنسية[29]. والحق ما ذهب إليه، فقد ورد في معاجم اللغة أنّ عدَّهُ: هيَّأه، والإعْدادُ: هو تهيئة الشيء[30].

(26) ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 331/3، إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 886/2، مادة (ملك).

(27) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة، 650/2.

(28) Le Petit Larousse, page 667.

(29) مصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة، 652/2.

(30) ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 324/1 وابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 29/1، مادة (عد).

3 – في أنحاءٍ لا في أنحاءَ :

وزن " أفْعَال" غير ممنوع من الصرف، ذكرها المبرّد (ت 285ه) في (باب الجمع المزيد فيه، وغير المزيد)، فقال: "فأمّا ما كان من الجَمع على (أفعَل)، وفُعُول)، نحو: أجْمال(*)، وفُلوس، فمنصرف في المعرفة والنّكرة؛ لأنّه على مثال يكون للواحد. وهو جمع مُضارعٌ للواحد؛ لأنّه لأدْنَى العدَد، أعني أفْعَالاً[31]، وكلمة "أشياء" مستثناة فهي تمنع من الصرف، فنقول فيها مثلا: نظرت إلى أشياءَ عند فلان، لا إلى أشياءٍ وهكذا[32] وعلى هذا يجب أن نقول مثلا : جُلتُ في أنحاءٍ من الأرض لا في أنحاءَ من الأرض. ونقول مثلاً : للجَمل في العربية أسماءٌ عديدة لا أسماءُ عديدة[33]. وعلى هذا فكثيرًا ما يغلط بعض ممتهني وسائل الإعلام فيمنعون من الصرف جموعًا جاءت على وزن أفعال تشبيهًا لها بكلمة "أشياء".

4 – الكميُ أو (الكَمْيَان) بدل التدخين:

للتدخين (fumer) في اللغة الفرنسية معان، منها: تخصيب الأرض الفلاحية بالسماد قصد تحسين مردودها، وتناثر الدُّخَان(la fumée) في الهواء نتيجة احتراق الحطب أو التبغ، أو غيرهما[34].

أمّا ما يقابل الاسم والفعل في حاضر لغة العرب، فالسائد منه هو الدُّخَانُ: "يتصاعدُ عن النّار من دقائق الوقود غير المحترقة وبمعنى"التَّبْغ"،

---

* أجمال: جمع جَمَل .ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 362/3، مادة (الجمل).

(31) المبرد: المقتضب، 329/3، وينظر :حسن عباس: النحو الوافي، 2005/3-206.

(32) وأصلها "أشَايِيٌّ بثلاث ياآتٍ، وعن الخليل (ت 175ه) أنّ أشيَاء فَعْلاء، وأنّها جمعٌ على غير واحد كشاعر وشعراء نائبة عن أفعال وبدل منه وجمعٌ لواحدها المستعمل وهو شيئٌ. أمّا الكسائي(ت 189ه) فيرى أنّها أفعالٌ كفَرخ وأفْرَاخ تُرك صَرفُها لكثرة الاستعمال،؛ لأنّها شُبّهت بفَعْلاء في كونها جمعت على على أشْيَاواتٍ فصارت كخَضْراء وخَضْرَاوات فحينئذٍ لا يلْزَمُهُ أن لا يُصرفَ أبناءً وأسماءً كما زعم الجوهري (ت 358ه)؛ لأنّهم لم يجمعوا أبناءً بالألف والتاء. ينظر: الفيروزآبادي القاموس المحيط، 20/1، مادة (شئته) والمبرد: المقتضب، 365/3.

(33) ينظر: المبرد: المقتضب، 365/3 ومصطفى الشهابي: أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة، 653/2.

(34) Le Petit Larousse, p 456.

و"التدخين" تفعيل لذلك. وعلى هذا فـ"دخَّنَ التَّبْغَ": أحرَقَهُ متعاطيًّا إيّاه"و"دخَّن على الشَّجر أو على الثَّوْب: طهَّرَهُ ببَخُور خاصّ ليقتُلَ ما به من الآفات". وهو مما أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة[35].

فعلى أيّ أساس تمَّ له ذلك؟ ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال أو معنى بمعنى[36]؛ قياس لا يتمّ إلّا بطريقة منطقية كونه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة واشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيها أو قد تكون غير موجودة إطلاقًا، فما بالك والمعاني بعدُ ليست قائمة إلّا على سبيل التوهّم؟ والإنسان لا يقوم مقامَ النَّار بأيّ حال من الأحوال. ففي المعجم العربي ما يدلّ على أنَّ الدُّخَان: "ما يكون عن الوقُود. يُقالُ: دَخَنَت النَّار تدخُنُ ودخَّنَتْ وادَّخَنَتْ: إذا ارتفع دُخَانُها، ودَخِنَتْ تَدْخَنُ: إذا أُلْقِيَ عليها حَطَبٌ فأُفْسِدَتْ حتَّى يَهيج لذلك دُخانٌ. ويُقالُ دَخَنَ الغُبَارُ:ارتَفَعَ. والدُّخْنَةُ من الأَلْوان: كُدْرَةٌ في سَواد. والدُّخْنَةُ: بَخُورٌ يدخَّنُ به البَيْت"[37].

فالدّخان يكون عن نار وقودها الحَطب أو البَخُورِ أو التَّبْغ الذي يستحيل، على اعتبار ما سيؤول إليه، دُخانًا يُكْمى(يُسْتَرُ) في الصّدر وما احتزمَ عليه، فيهيجُ، ثمَّ يَخرُجُ جلُّه أو جزءًا منه بالطريقة المعهودة عند مُتعاطي التَّبغ؛ ولا بأس بعد ذلك أن يُطلَق الدُّخانُ على التَّبغ على سبيل المجاز ووفق المآل، وهو ما لا ننكره على الخاصّة والعامّة.

(35) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، 276/1، مادة (دخن).

(36) ينظر: ابن جني : الخصائص، 358/1 والسيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ص 96، وابن هشام:شرح جمل الزجاجي، ص 355.

(37) ينظر:ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 336/2، مادة (دخن) والفيروزآبادي: القاموس المحيط، 223/4، مادة (الدخن).

من ذلك لفظ" كَمَى" الذي نعدُّه وجهًا صالحًا من وجوه المقابلات الموضوعية لما في (عملية التدخين) بمفهومها الحديث. فهو في أصل الوضع" يَدلُّ على خَفَاءِ شَيءٍ. من ذلك: كَمَى فُلانٌ الشّهادة: إذا كَتَمَها...ولذلك سمِّيَ الشُّجاعُ: الكمِيُّ. قالوا: هو يتكَمَّى في سلاحه؛ أي: يتَغَطَّى به. يقالُ: تكَمَّتِ الفِتْنَةُ النَّاسَ: إذا غَشِيَتْهُم" [38].

والجدير بالذكر أنَّ عامّة أهل المغرب العربيّ ما زالوا يصرُّون على الفعل" كَمى" في مقابل(دَخَّن) و"المصدر"الكَمْيَان" في مقابل (التدخين)، وكأنّه من(باب ما تنكره الخاصّة على العامّة وليس بمنكر)[39]. فإذا كانت مادة "كَمَى" ما زالت تحظى بمثل هذا التداول، وقد انحسر مداها في الدلالة على كتمان السرّ والشهادة الذي كانت تضطلع به جنبًا إلى مع مادة"كتَم"[40]، فما أحوجنا اليوم إلى دلالتها المحسوسة التي انزوت في ركنٍ صغيرٍ من أركان الدلالة الأصلية، وعثرنا عليها في بعض النصوص القديمة في صورة اللفظ نفسه أو بعض مشتقّاته، وارتكزنا فيه أساسًا على مبدإ التوسُّع في قبول ما نطقت به العامّة وكان جاريًّا على لهجة عربية معروفة[41]، تتّصل بالفصحى بأكثر من سبب، وينتظر الإقرار الطّوعي من المجتمع العربي في مشرقه بعد أن لقيَه في مغربه.

وبعيدًا عن التشكيك في قدرة المجامع اللغوية العربية، ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي نشهد له بالرّيادة، على عقد الصّلة بين موروث الخلَف والسّلَف من الألفاظ الكفيلة بسدّ النقص المصطلحي الحاصل في لغة العرب في مقابل ما يفِد علينا من مصطلحات أجنبية وممارسات تنحسب علينا تبعاتها.

(38) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، 137/5، مادة (كمى)، وينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 386/4، مادة (كمى).

(39) وهو عنوان جعله ابن مكّي الصقلي(ت501ه) لأحد أبواب كتابه، حاول فيه إنصاف العامة فيما ذهبوا إليه. ينظر: ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص 186-193.

(40) "الكاف والتاء واللام أصل صحيح يدلُّ على إخفاءٍ وسَتْرٍ. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 157/5، مادة (كتم).

(41) ينظر في هذا الصدد: عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء علم اللغة الحدي، ص 169.

بعيدًا عن كلّ ذلك فإننا نهيب بهذه المجامع أن تداوم التنقيب والتنقير في كتب اللغة ومعاجمها بحثًا عن مقابلات موضوعية تغنينا عن اللّهث وراء العديد من الترجمات على النحو الذي حظيت بها كلمة "المَنَامَة" في مقابل كلمة"pyjama(s)" التي عملت بعض المجامع اللغوية جاهدة على ترجمتها دون أن تلقى أيّ من الترجمات المقترحة القبول[42]. والمصطلح في تراث العرب يحمل أسباب انبعاثه.

5- دَخلْت البيتَ لا دخلْتُ إلى البَيت :

يتعدّى الفعل دخل إلى مفعوله بدون حرف الجرّ، تقول: (دخَلْتُ البيتَ) فإنّ البيتَ مفعول، وتقول (البيتَ دَخَلْته.فإنْ قلتَ: فقد أقول: دخَلْت فيه. قيل: هذا كقولك: عبد الله نصحتُ له ونصحتُه... فتعدِّه إنْ شئت بحرف، وإن شئتَ أوصَلت الفعل...ألا ترى أنَّ (دخلت) هو عمل فعلته، وأوصَلْته إلى الدار،لا يَمتَنعُ منه ما كان مِثْل الدار.تقول: دخلتُ المسجدَ، ودخلَ البيتَ. قال الله عزّ وجلَّ: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ﴾**[43]. فهو في التعدّي كقولك: عَمَرتُ الدَّارَ، وهدّمْتُ الدَّارَ، وأَصْلَحْتُ الدَّارَ؛ لأنَّه فِعْلٌ وصلَ منك إليها، مِثْل: ضَرَبْتُ زَيْداً"[44].

فعلى هذا يجري الفعل (دخل) وغيره من الأفعال في التعدية من منطلق المخصوص والمبهَم، وهو ما أيّده ابن الشجري (ت 542ه) ببعض الشواهد، فقال: "وممّا حذفوا منه (إلى) قولهم (دخَلْتُ البَيْتَ) و(ذهبْتُ الشَّامَ) ولم يستعملوا ذهبتُ بغير (إلى) إلّا للشَّام، وليس كذلك (دخلْتُ المَسْجدَ) و(دخَلْتُ السُّوقَ)"[45].

(42) ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم الترجمة، ص88-89.

(43) الآية 27 من سورة الفتح.

(44) ينظر: المبرد: المقتضب، 4/338-3339.

(45) ابن الشجري: الأمالي الشجرية، 1/367-368.

*** الخلاصة:**

لقد وقفنا ممّا قدّمنا له في هذا البحث على بعض مظاهر اللّحن عند القدماء ونماذج له عند بعض الخلَف ممثَّلا في وسائل الإعلام، الأمر الذي أوقفنا على مدى إدراك السَّلف لمبدإ الصّواب قبل مبدإ الخطإ في اللفظ والعبارة، بما يزيد من انحسار العربية من التداول عند الخّاصّة، ويفتح المجال أمام احتمالات العُجمة في ألسنة العامّة ويفتح المجال واسعًا أمام الأخذ بها في أيدي الأعاجم دون إدراك لوجود النّظائر في لغة العرب، فتلغى بذلك المفاضلة التي بين المُجتهد والمقصِّر التي قال يحيى بن خالد (ت129هـ) إقرارًا بجدواها: **"ما رأيت رجلًا قطّ إلاّ هِبتُه حتى يتكلّم، فإن كان فصيحًا عظُم في صدري، وإن قصّر سقط من عيني"**[46].

(46) الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ص 67.

المصادر والمراجع:

أ – العربية:

* **القرآن الكريم.**

1 – الأبشيهي: **المستطرف من كل فن مستظرف**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.

2 – ابن الأثير،مجد الدين السعادات المبارك الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المطبعة العثمانية، 1311هـ.

3 – إبراهيم، محمد أبو الفضل والبجاوي، علي محمد: **أيام العرب في الإسلام**، ط3، دار إحياء الكتب العربية، 1983م.

4 – ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين: **شرح جمل الزجاجي**. دراسة وتحقيق علي محسن عيسى مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ-1985م.

5 – ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: **سيرة النبي**، صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

6 – ابن أنس، أبو عبد الله مالك: **الموطأ**، رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، 1987م.

7 – ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجّار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.

8 – ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **كتاب الملاحن**، تحقيق عبد الإله نبهان، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.

9 – ابن السيّد البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد: **الاقتضاب في شرح أدب الكاتب**، تحقيق محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.

10 – ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي: **الأمالي الشجرية**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

11 – ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1956م.

12 – ابن فارس، أبو الحسين أحمد : **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.

13 – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري:

* **الشعر والشعراء**، تحقيق حسين تميم ومحمد عبد المنعم العريان، ط5، دار إحياء العلوم، بيروت، 1995م.

* **عيون الأخبار**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

14– ابن مكي الصقلي: أبو حفص عمر بن خَلَف: **تثقيف اللسان وتلقيح الجنان**، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عَطَا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1410هـ–1990م.

15 – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م.

16 – أبوالطيب اللغوي،عبد الواحد بن علي: **مراتب النحويين**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، دارالفكر العربي، 1974م.

17 – الأنباري، محمد بن القاسم، **الأضداد**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987م.

18 – أنيس، إبراهيم ومنتصر عبد الحليم والصوالحي عطية، وخلف الله أحمر محمد: **المعجم الوسيط**، طبعة حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، دار الفكر.

19 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، دار الفكر للجميع، 1968م.

20 – الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح في اللغة والعلوم**، تجديد صحاح العلامة الجوهري، والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت.

21 – الحباس، محمد :**دراسة تطور المفردات العربية من خلال كتب اللّحن**، رسالة ماجستير بإشراف شكري السيد الخلوي، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، 1983م.

22 – حسن، عباس: **النحو الوافي**، ط3، دار المعارف بمصر.

23 – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن :

* **الإتقان في علوم القرآن**، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973م.

* **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976م.

* **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد جاد المولى بك، ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م.

24 – الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي العلوي: **أمالي المرتضى**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

25 – الشهابي، مصطفى: **أخطاء تنقلها محطّات الإذاعة**، المجلد 42، الجزء الثاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1387هـ–1967م.

26 – العسكري، أبو هلال، **الفروق في اللغة**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981م.

27 – عوض، حمد القوزي: **المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1981م.

28 – فك، يوهان: **العربية، دراسة في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1400هـ–1980م.

29 – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

30 – فيصل، شكري: **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي**، ط5، دار العلم للملايين.

31 – القاسمي علي : **مقدمة في علم المصطلح**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

32 – القالي، أبو علي إسماعيل القاسم البغدادي: **الأمالي في لغة العرب**، مراجعة نخبة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.

33 – القلقشندي: أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى**، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1913م.

34 – المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

35 – مرتاض، عبد الجليل: **بوادر الحركة اللّسانية الأولى عند العرب**، دار الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/1988م.

36 – المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمر بن موسى: **الموشح من مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، مصر، الجديدة، 1965م.

37 – مطر، عبد العزيز: **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**، ط1، دار المعارف بمصر، 1401هـ–1981م.

ب– الأجنبية:

1 - Le Petit Larousse-Larousse - Paris - Cedex06, 2003.